العلاقات السياسية والعسكرية بين الدولة الزيرية والدولة الحمادية(405هـ_454هـ/1014م_1062)

م.م. سرى مثنى جاسم
كلية الاداب / الجمعة المستنصرية
Sulhnar9@uomustansiriyah.edu.iq
07731395544

مستخلص البحث:
شهدت العلاقات السياسية بين الدولة الزيرية والدولة الحمادية مراحل متقلبة تراوحت بين التحالف والصراع. في البداية، كانت الدولة الحمادية فرعًا من الحكم الزيري، حيث أسند بلكين بن زيري حكم المغرب الأوسط إلى حماد بن بلكين، مما عزز من سلطة الأسرة الزيرية في المنطقة. غير أن طموحات حماد بن بلكين بالاستقلال أدت إلى توتر العلاقات، خصوصًا مع تراجع السلطة الزيرية في إفريقية إثر الغزو الهلالي. في سنة 398هـ/1007م، أعلن حماد استقلاله عن الزيريين، فأسس الدولة الحمادية ورفع الخطبة للخليفة الفاطمي، ما عُد تحديًا مباشرًا لسلطة الزيريين. رد المعز بن باديس الزيري بشن حملات عسكرية لإخضاع الحماديين، لكنها باءت بالفشل بسبب قوة تحصينات القلعة الحمادية واستفادة الحماديين من الظروف السياسية المحيطة.تواصل الصراع السياسي والعسكري بين الدولتين لعقود، مع تدخلات خارجية من الفاطميين والعباسيين، واختلط هذا الصراع بالتنافس على السيطرة الإقليمية والنفوذ الديني. رغم محاولات متقطعة للتهدئة، ظلت العلاقة بين الزيريين والحماديين تتسم بالتوتر، وأسهم هذا الانقسام في إضعاف النفوذ الإسلامي بالمغرب الأوسط لصالح قوى محلية وقبائل عربية مهاجرة.

الكلمات المفتاحية: الدولة الزيرية، الدولة الحمادية، الناصر بن علناس، بلكين بن زيري

المبحث الاول

البدايات السياسية للدولة الزيرية والدولة الحمادية

أولا: أصل الدولة الزيرية

نشأت الدولة الزيرية في سياق سياسي واجتماعي وديني معقد شهدته منطقة المغرب الإسلامي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وذلك على أنقاض الدولة الفاطمية التي كانت قد بسطت نفوذها على بلاد المغرب قبل انتقالها إلى مصر عام 362هـ/973م. (ابن خلدون(ت:808هـ)، 2009، صفحة 344/ ج6). وتُعد الدولة الزيرية إحدى السلالات البربرية التي لعبت دورًا محوريًا في تاريخ المغرب الأوسط، إذ كانت امتدادًا محليًا للحكم الفاطمي، ثم ما لبثت أن تطورت إلى كيان سياسي مستقل واجه العديد من التحديات الداخلية والخارجية. تنتمي الأسرة الزيرية إلى قبيلة صنهاجة البربرية، وهي من أكبر القبائل البربرية نفوذًا وأشدها ارتباطًا بالفاطميين. وقد برز زيري بن مناد الصنهاجي، مؤسس الدولة الزيرية، كزعيم قبلي محنك وقائد عسكري بارز، استطاع أن يكسب ثقة الفاطميين نتيجة ولائه ومشاركته الفاعلة في تثبيت دعائم حكمهم في المغرب
(ابن عذاري، 1983، صفحة 467/ ج6).كوفئ زيري على ولائه بمنحه حكم المغرب الأوسط، وعُين واليًا باسم الخلافة الفاطمية. وبعد وفاته، خلفه ابنه بلكين بن زيري الذي عزز سلطة الأسرة الزيرية، ووسع نفوذها نحو المغرب الأدنى (تونس حاليًا). وقد شكل انتقال الفاطميين إلى القاهرة نقطة تحوّل جوهرية، إذ ترك فراغًا سياسيًا كبيرًا في المغرب. وُكّلت إلى الزيريين مهمة إدارة المغرب نيابة عن الفاطميين، لكن الواقع السياسي والاقتصادي سرعان ما دفع الزيريين، خصوصًا في عهد المنصور بن بلكين ومن بعده المعز بن باديس، إلى اتخاذ خطوات نحو الاستقلال التدريجي عن الخلافة الفاطمية،

بما في ذلك التحول المذهبي من التشيع الإسماعيلي إلى المذهب المالكي السني، ما أدى إلى صدامات سياسية وعقائدية حادة مع الفاطميين في القاهرة (شلش، 1969، صفحة 134).

وقد تمثلت ذروة هذا الانفصال في إعلان المعز بن باديس الاستقلال الرسمي عن الخلافة الفاطمية سنة 440هـ/1048م، ورفع الخطبة باسم الخليفة العباسي ببغداد، ما عُدّ انقلابًا سياسيًا ودينيًا ضد المشروع الفاطمي في المغرب. ردًا على هذا التمرد، أرسل الفاطميون قبائل بني هلال وبني سليم الهلالية إلى إفريقية، ما أدى إلى انهيار السلطة الزيرية في المغرب الأدنى، وانكفأ الزيريون إلى المغرب الأوسط حيث أسسوا هناك ما عُرف بدولة بني زيري في الجزائر. إن الدولة الزيرية تمثل مرحلة انتقالية مهمة في تاريخ المغرب الإسلامي، حيث جمعت بين الولاء السياسي الظاهري للخلافة الفاطمية وبين نزوع محلي نحو الاستقلال السياسي والمذهبي، وشهدت في ذات الوقت صراعات داخلية حادة وغزوات خارجية مدمرة، كان أبرزها الغزو الهلالي

(هلال، 1991، الصفحات 175-190).

ثانيا: ملوك بني زيري

1- زين الدين بلكين بن زيري (361هـ/972م - 373هـ/983م)

مؤسس الدولة الزيرية في المغرب الأوسط. عينه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله واليًا على الجزائر وقسنطينة وتلمسان. كان قوياً في توطيد الحكم الزيري، وأسهم في توسعة نفوذ الفاطميين بالغرب قبل أن يستقل تدريجيًا (ابو القاسم، 2001، الصفحات 80-85/ ج1).

2- المنصور بن بلكين (373هـ/983م - 386هـ/996م)

خلف والده، وواصل سياسة توطيد الحكم. شهدت فترته اضطرابات داخلية وصراعات مع القبائل المحلية، إضافة إلى محاولات الحفاظ على النفوذ الفاطمي المتراجع بالمغرب الأوسط (السيد، 2009، الصفحات 51-57).

3- باديس بن المنصور (386هـ/996م - 406هـ/1016م)

أحد أقوى حكام بني زيري. شهد عصره انفصال بعض المناطق تحت حكم بني حماد. عمل باديس على بسط الأمن وتحسين الإدارة، لكنه بدأ يواجه تصاعد الضغوط الخارجية خاصة من العرب الهلاليين (ابن عذاري، 1983، الصفحات 182-190/ ج1).

4- المعز بن باديس (406هـ/1016م - 454هـ/1062م)

أبرز ملوك بني زيري. أعلن الاستقلال عن الفاطميين وانتقل إلى المذهب السني عام 435هـ/1044م، مما أدى إلى قطيعة مع القاهرة. خلال حكمه اجتاح العرب الهلاليون إفريقية، مما أضعف الدولة الزيرية وقسمها (ابن عذاري، 1983، الصفحات 182-190/ ج1).

5- تميم بن المعز (454هـ/1062م - 501هـ/1107م)

واجه تحديات جسيمة نتيجة غزوات القبائل الهلالية. تمركز حكمه في الساحل التونسي فقط، خاصة بالمهدية. خلال عهده ضعفت الدولة الزيرية بشكل حاد وتحولت إلى قوة محلية محدودة (شلش، 1969، الصفحات 113-125).

6- يحيى بن تميم (501هـ/1107م - 515هـ/1121م)

واصل سياسة والده الدفاعية. اعتمد على التحالفات البحرية لمواجهة الأخطار، خاصة مع صقلية النورمانية. حاول إعادة بعض مظاهر الدولة القوية لكن دون نجاح كبير

(السيد، 2009، الصفحات 55-57).

7- علي بن يحيى (515هـ/1121م - 515هـ/1121م)

حكم لفترة قصيرة جدًا بعد وفاة والده، ولم تسنح له الفرصة لتثبيت سلطته. استمرت الانقسامات والانهيار الداخلي خلال عهده القصير (شلش، 1969، الصفحات 113-125).

8- الحسن بن علي (515هـ/1121م - 543هـ/1148م)

آخر ملوك بني زيري. شهد سقوط المهدية عام 543هـ/1148م بيد النورمانديين من صقلية. انتهت بسقوطه دولة بني زيري رسميًا، ودخلت إفريقية مرحلة جديدة من الهيمنة الأجنبية والدويلات المتعددة (ابن عذاري، 1983، الصفحات 182-190/ ج1).

ثالثا: اصل الدولة الحمادية

نشأة الدولة الحمادية في المغرب الأوسط

نشأت الدولة الحمادية في المغرب الأوسط خلال أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وكانت امتدادًا وانشقاقًا عن الدولة الزيرية، إذ تعود أصول مؤسسيها إلى قبيلة صنهاجة البربرية، وهي ذات القبيلة التي انحدر منها الزيريون. ويُعد حماد بن بلكين بن زيري المؤسس الفعلي للدولة الحمادية، حيث كان واليًا على المنطقة الشرقية من المغرب الأوسط (منطقة آشير والمناطق الجبلية المجاورة) نيابة عن الدولة الزيرية، نشأت الدولة الحمادية في ظل حكم الدولة الزيرية، التي كانت تمثل السلطة الفاطمية في المغرب الأوسط، بعد أن ولاها الفاطميون الحكم في القيروان وما حولها. ومع انتقال الفاطميين إلى مصر سنة 362هـ / 973م، بدأ الضعف يدب في أوصال الدولة الزيرية بسبب الانفصال التدريجي عن الخلافة الفاطمية وتنامي الطموحات الإقليمية

(ناصر، د.ت، الصفحات 145-150).

الظروف التي مهّدت لظهور الدولة الحمادية:

شهدت الدولة الزيرية في أواخر القرن الرابع الهجري اضطرابات سياسية نتيجة توسعها الجغرافي وصراعاتها مع القوى المحلية والدولة الفاطمية. في هذه الأثناء، برز حماد بن بلكين كقائد طموح ومستقل في قراراته، خصوصًا بعد أن قام بتشييد قلعة بني حماد سنة 398هـ/1007م، والتي أصبحت لاحقًا عاصمة الدولة الحمادية ومركزًا سياسيًا واقتصاديًا مهمًا. ورغم تبعيته الاسمية لأخيه المنصور بن بلكين الزيري، إلا أن حماد شرع تدريجيًا في الاستقلال بحكمه، وبدأ بتوسيع نفوذه السياسي والعسكري، الأمر الذي دفع الزيريين إلى محاولة إعادة السيطرة عليه، مما أدى إلى نشوب صراعات بين الطرفين (شبارو، 1990، الصفحات 96-102).

إعلان الاستقلال وتأسيس الدولة:

في سنة 405هـ/1014م، أعلن حماد بن بلكين انفصاله رسميًا عن الدولة الزيرية، مؤسسًا بذلك الدولة الحمادية، التي اتخذت من المناطق الجبلية مركزًا لها، واستندت إلى الدعم القبلي المحلي من صنهاجة والقبائل المتحالفة معها. وقد اتبع الحماديون في البداية المذهب الشيعي الإسماعيلي الفاطمي، بحكم الخلفية السياسية التي جمعتهم سابقًا بالزيريين، لكنهم سرعان ما تحولوا إلى المذهب المالكي السني لتعزيز علاقاتهم مع السكان ومع القوى السنية الأخرى في المنطقة

(بلحاج، 2001، الصفحات 159-164).

موقعها الجغرافي ومميزاتها:

امتدت الدولة الحمادية في بدايتها على المناطق الشرقية من الجزائر الحالية، ثم توسعت تدريجيًا نحو الغرب والساحل، حيث أسس خلفاء حماد مدنًا كبرى مثل بجاية، التي تحولت في عهدهم إلى عاصمة بحرية وثقافية مزدهرة، خاصة في عهد الناصر بن علناس. وقد ساعد الموقع الجبلي والحصين للدولة على تعزيز استقلالها والدفاع عن نفسها ضد التهديدات الخارجية، لا سيما الزيريين وبني هلال لاحقًا (الدوري، 1990، الصفحات 215-220).

أهمية الدولة الحمادية:

تمثل الدولة الحمادية إحدى أبرز التجارب السياسية في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، إذ تمكنت من بناء كيان مستقل استمر لأكثر من قرن من الزمن، وحقق ازدهارًا حضاريًا وتجاريًا بارزًا، كما

لعب الحماديون دورًا كبيرًا في الحركة العمرانية والعلمية، خصوصًا في مدينة بجاية التي أصبحت لاحقًا مركزًا فكريًا بارزًا في حوض البحر الأبيض المتوسط (محمد، 2005، الصفحات 145-150)

رابعا:ملوك دوله بني حماد.

1- حماد بن بلكين (398هـ/1007م - 419هـ/1028م)

مؤسس الدولة الحمادية. بدأ والياً للزيريين، ثم أعلن الاستقلال سنة 398هـ. أسس قلعة بني حماد، وبنى نظامًا سياسيًا وإداريًا متماسكًا. كان ولاؤه الفعلي للفاطميين رغم استقلاله العملي عن الزيريين (شنيتي، 1992، الصفحات 45-60).

2- لقمان بن حماد (419هـ/1028م)

حكم لفترة قصيرة جدًا بعد وفاة أبيه حماد. لم يتمكن من تثبيت حكمه، إذ وقع صراع داخلي أطاح به سريعًا. (ابن خلدون(ت:808هـ)، 2009، الصفحات 99-100/ ج6).

3- القائد بن حماد (419هـ/1028م - 446هـ/1054م)

شقيق لقمان، استقر له الحكم بعد فترة قصيرة من الاضطراب. في عهده بلغت الدولة الحمادية ذروة قوتها السياسية والعسكرية. قاد توسعات واسعة، وحافظ على استقلال الدولة عن الزيريين بشكل تام (الطاهر، 1998، الصفحات 144-155).

4- محمد بن القائد (446هـ/1054م - 449هـ/1058م)

خلف والده القائد، لكنه لم يكن بنفس القوة والكفاءة، مما سمح بظهور بعض الاضطرابات الداخلية ونمو التهديدات الخارجية (الطاهر، 1998، الصفحات 156-168).

5- الناصر بن علناس (449هـ/1058م - 481هـ/1088م)

واحد من أعظم حكام بني حماد. نقل العاصمة إلى بجاية لتأمين اتصال الدولة بالبحر، وقاد إصلاحات إدارية وعسكرية. خلال عهده بلغت الدولة الحمادية أقصى اتساعها الجغرافي وقوتها الاقتصادية (الطاهر، 1998، الصفحات 156-168).

6- بلكين بن الناصر (481هـ/1088م - 485هـ/1092م)

حكم فترة قصيرة بعد وفاة والده الناصر. عانى من اضطرابات داخلية وانقسامات قبلية، ولم يستطع السيطرة الكاملة على أنحاء الدولة (شنيتي، 1992، الصفحات 121-155)

7- المنصور بن الناصر (485هـ/1092م - 498هـ/1104م)

واصل الحكم بعد وفاة أخيه بلكين. سعى لإعادة النظام والاستقرار، لكنه واجه صعود القوى النورمانية في البحر المتوسط مما أضعف موقف الدولة الخارجي. (شنيتي، 1992، الصفحات 121-155).

8- باديس بن المنصور (498هـ/1104م - 531هـ/1136م)

آخر الحكام الكبار لبني حماد. حاول التصدي للخطر النورماني، كما واجه تصاعد التهديدات الداخلية من القبائل الصنهاجية وغيرها. في عهده بدأت الدولة تفقد قوتها تدريجيًا.
(شنيتي، 1992، الصفحات 121-155).

9- يحيى بن عبد العزيز (531هـ/1136م - 547هـ/1152م)

حاكم الدولة في مرحلة الضعف والانهيار. خلال حكمه اجتاح الموحدون مناطق الحماديين، وسقطت بجاية سنة 547هـ، مما أنهى فعليًا حكم بني حماد (شنيتي، 1992، الصفحات 121-155).

المبحث الثاني
العلاقات السياسية بين الدولة الزيرية والدولة الحمادية

شهد المغرب الأوسط في القرنين الرابع والخامس الهجريين (10م – 11م) تحولات سياسية كبيرة تمثلت في صعود وانقسام الدولة الزيرية، التي أسسها بلكين بن زيري الصنهاجي، ثم انبثاق الدولة الحمادية عنها بقيادة حماد بن بلكين. ومع تأسيس الدولة الحمادية سنة 405هـ/1014م، بدأت الصراعات السياسية والعسكرية بين الكيانين، إذ اعتبر الزيريون الانفصال الحمادي خروجًا على شرعية السلطة المركزية، بينما رأت الدولة الحمادية في نفسها كيانًا مستقلًا سياسيًا وعسكريًا (ابن خلدون(ت:808هـ)، 2009، الصفحات 99-100/ ج6).

بدأت العلاقات السياسية بين الدولتين على شكل ولاء حماد للزيريين، إلا أن الطموحات السياسية والتنافس على الزعامة الإقليمية دفعا إلى إعلان الاستقلال من قبل الحماديين. وقد شهدت الفترات التالية محاولات من كل طرف لتعزيز شرعيته على حساب الآخر، فقام الزيريون بدعم خصوم الحماديين، بينما سعى هؤلاء إلى التوسع غربًا. وقد تخللت هذه المرحلة اتفاقات مؤقتة وصراعات حادة، تعكس الطبيعة المعقدة للتوازنات السياسية في المغرب الإسلامي آنذاك (ادريس، 1962، الصفحات 210-235). شهدت العلاقات السياسية بين دولتي بني زيري وبني حماد خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (10م-11م) مسارًا متقلبًا، اتسم بالتوتر والصراع أكثر مما اتسم بالتعاون. فقد تأسست الدولة الحمادية أصلاً نتيجة انشقاق داخلي داخل البيت الزيري، عندما أعلن حماد بن بلكين استقلاله عن الزيريين سنة 398هـ/1007م، بعدما كان واليًا تابعًا لهم. لم يقبل الزيريون هذا الانفصال بسهولة، واعتبروه تمردًا على شرعية الحكم العائلي والولاء للفاطميين (ادريس، 1962، صفحة 236). في السنوات الأولى بعد الانفصال، حاولت الدولة الزيرية بقيادة باديس بن المنصور استعادة السيطرة على الأراضي الحمادية، لكن الضغوط العسكرية والسياسية جعلته يعترف بالأمر الواقع، خاصة بعد تدخل الفاطميين لصالح الحماديين. وهكذا تشكلت علاقات سياسية مشوبة بالعداء والحذر، حيث سعى كل طرف إلى تعزيز نفوذه وإضعاف الطرف الآخر، في فترة لاحقة، ولا سيما في عهد المعز بن باديس الزيري والناصر بن علناس الحمادي، ازداد التنافس حدّة، خصوصًا بعد إعلان المعز الاستقلال عن الفاطميين وتحوله إلى المذهب السني سنة 435هـ/1044م، مقابل استمرار الحماديين على الولاء الاسمي للخلافة الفاطمية. هذا التحول الديني والسياسي عمّق الخلافات، وجعل العلاقة بين الدولتين تتخذ طابعًا أيديولوجيًا بجانب التنافس على الأراضي والنفوذ (باعج، 2013، الصفحات 34-46). وقد سعى الحماديون إلى الاستفادة من تراجع قوة الزيريين بعد اجتياح العرب الهلاليين لإفريقية، فثبتوا سيطرتهم على مناطق واسعة في المغرب الأوسط، بينما انكفأ الزيريون إلى السواحل، خصوصًا حول المهدية. ويمكن القول إن العلاقة السياسية بين الدولتين كانت في معظم مراحلها علاقة تنافس وصراع على الشرعية والسيادة الإقليمية، أكثر منها علاقة تعاون أو تحالف (شنيتي، 1992، الصفحات 135-137).

اولا_العلاقات العسكرية بين دولة بني زيري ودولة بني حماد

إلى جانب الصراع السياسي، كانت العلاقات العسكرية بين بني زيري وبني حماد حافلة بالمواجهات الحربية، حيث سعى كل طرف إلى فرض هيمنته على المغرب الأوسط. تركزت هذه المواجهات في المناطق الحدودية بين الدولتين، خاصة في الزاب وبسكرة وقسنطينة وعنابة، التي شكلت ميدانًا رئيسيًا للصراع العسكري ميزت العلاقات بين الدولتين بصراعات عسكرية متكررة، كان من أبرزها محاولة الحماديين السيطرة على المهدية، عاصمة الزيريين. وقد تصدى الزيريون لهذه المحاولات مما أدى إلى اندلاع معركة سبيبة، التي مثلت نقطة تحول في الصراع. كما لجأ الطرفان إلى الاستعانة بالقبائل

البربرية والعربية، مما أدخل المنطقة في دوامة من التحالفات القبلية والحروب المستمرة. ويمثل هذا الجانب العسكري أحد أوجه العلاقة الأكثر تأثيرًا على مسار الحكم في شمال إفريقيا آنذاك (ابو زيد، 2009، الصفحات 233-235).

ثانيا_ مرحلة الولاء والانفصال بين الزيريين والحماديين

مثّلت العلاقة بين بني زيري وبني حماد إحدى أكثر المحطات حساسية في تاريخ المغرب الأوسط خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (10م-11م). بدأت العلاقة على أساس الولاء السياسي والعائلي، لكنها سرعان ما تطورت إلى مرحلة الانفصال والاستقلال، تحت تأثير عوامل داخلية وإقليمية معقدة. 1_ **الولاء الأولي بين الزيريين والحماديين**

تعود جذور العلاقة بين الزيريين والحماديين إلى الأصل العائلي المشترك؛ فكلاهما ينتمي إلى قبيلة صنهاجة البربرية، وكان ولاؤهما في البداية منصبًا على دعم الخلافة الفاطمية في المغرب الإسلامي. في عهد بلكين بن زيري (حاكم الدولة الزيرية)، برز ابنه حماد بن بلكين كواحد من أبرز القادة العسكريين والسياسيين، حيث ولاه أبوه حكم بعض المناطق الشرقية من المغرب الأوسط، بما في ذلك الزاب والقل. في هذه المرحلة، كان حماد يُعتبر تابعًا مخلصًا للدولة الزيرية، يحكم باسمها ويدافع عن مصالحها، خاصة ضد التمردات القبلية المحلية. عززت روابط الدم والانتماء السياسي العلاقة بين الطرفين، وكانت الولاءات والخضوع تُمارس ضمن الإطار التقليدي للأنظمة البربرية الحاكمة في ظل الدولة الفاطمية (الدوري، 2001، الصفحات 201-203).

2_ مقدمات الانفصال

مع وفاة بلكين بن زيري وضعف خلفائه، بدأت تظهر بوادر التوتر بين حكام العاصمة (المنصورية ثم المهدية) وبين حكام الأقاليم الداخلية مثل حماد.

- طمح حماد إلى توسيع سلطته وتحقيق قدر أكبر من الاستقلال الذاتي عن سلطة بني زيري المركزية.
- تزايد التوتر نتيجة النزاعات حول الضرائب وإدارة شؤون القبائل الصنهاجية في المناطق الشرقية.
- بالإضافة إلى ذلك، فإن انتقال مركز ثقل الدولة الزيرية تدريجيًا إلى الساحل (المهدية)، جعل مناطق الداخل تشعر بالتهميش، وهو ما غذى النزعة الانفصالية (ابن خلدون(ت:808هـ)، 2009، الصفحات 100-105/ ج6).

كل هذه العوامل أدت تدريجيًا إلى تقويض الولاء التقليدي الذي كان قائمًا بين الطرفين.

3_ إعلان الانفصال الرسمي

في سنة 398هـ/1007م، أعلن حماد بن بلكين رسميًا استقلاله عن الدولة الزيرية.

- أسس قلعة بني حماد كعاصمة سياسية وعسكرية جديدة، محصنة ومهيأة لمواجهة أي رد فعل من بني زيري.
- أعلن ولاءه الاسمي للخلافة الفاطمية مباشرة، متجاوزًا السلطة الزيرية، مما أكسبه بعض الشرعية الدينية والسياسية في مقابل بني زيري.

حاول الزيريون بقيادة باديس بن المنصور القضاء على هذا التمرد عبر الحملات العسكرية، لكن صلابة الدفاعات الحمادية ومساندة بعض القبائل الصنهاجية لحماد حالت دون إعادة إخضاعه.

بعد عدة سنوات من النزاع غير الحاسم، اضطرت الدولة الزيرية إلى القبول الضمني باستقلال الدولة الحمادية (سعادة، 1993، الصفحات 154-160).

4_ نتائج مرحلة الانفصال

كان لانفصال بني حماد عن بني زيري نتائج عميقة على الوضع السياسي والعسكري في المغرب الأوسط:

- تفكك السلطة المركزية الزيرية، وتحول الدولة إلى كيان ساحلي محدود.
- ظهور بني حماد كقوة إقليمية مستقلة، تنافس الزيريين بل وتتفوق عليهم مع مرور الوقت (الزيدي، 2007، الصفحات 145-162).

المبحث الثالث

الحروب بين الدولة الزيرية والدولة الحمادية

اولا:الحملة الزيرية الأولى (406هـ/1015م)

ردًا على إعلان حماد الاستقلال، جهز المنصور بن بلكين حملة عسكرية لاستعادة المناطق التي سيطر عليها حماد. ولكن بسبب تضاريس المنطقة الجبلية، وقوة تحصينات قلعة بني حماد، فشلت الحملة في اختراق الدفاعات الحمادية، وانسحب الجيش الزيري بعد مناوشات متفرقة بين الزيريين والحماديين، تُعد الحملة الزيرية الأولى سنة 406هـ/1015م محاولة حاسمة من الدولة الزيرية لإخضاع الدولة الحمادية الناشئة وإعادة فرض سلطتها عليها (ابن الاثير، 1997، الصفحات 220-223/ ج9).

فبعد إعلان حماد بن بلكين استقلاله عن الزيريين سنة 398هـ/1007م، واستتباب نفوذه في مناطق الزاب والقل، اعتبر الزيريون هذا الانفصال تهديدًا مباشرًا لوحدة الدولة الصنهاجية وللنفوذ الزيري في الداخل. في هذا السياق، قاد باديس بن المنصور الزيري حملة عسكرية كبيرة سنة 406هـ/1015م بهدف استعادة السيطرة على الأراضي الحمادية وإنهاء تمرد حماد.كما جُهزت الحملة بقوات كبيرة ضمت فرسانًا ومشاة من صنهاجة وحلفائهم و اتجهت القوات الزيرية نحو الشرق، متوغلة في مناطق الزاب الكبرى. اذ كان الهدف الرئيسي هو ضرب معاقل حماد، خاصة قلعة بني حماد التي أصبحت رمزًا للاستقلال الحمادي.

غير أن الحملة الزيرية واجهت صعوبات كبيرة، منها:

- تحصين قلعة بني حماد بشكل ممتاز، إذ كانت مبنية على تضاريس جبلية وعرة، مما صعب عملية الاقتحام.
- مقاومة شرسة من القوات الحمادية بقيادة حماد بن بلكين، الذي أحسن تنظيم دفاعاته واستفاد من ولاء القبائل الصنهاجية المحلية.
- الإمدادات والظروف الجغرافية التي أعاقت تحركات الجيش الزيري وأثرت على فعاليته القتالية. . (البكري، 1992، الصفحات 185-188).

نتيجة لذلك، فشلت الحملة الزيرية في تحقيق أهدافها، واضطر باديس إلى الانسحاب دون أن يحقق نصرًا حاسمًا.

هذا الفشل العسكري كان له تأثير بالغ:

- ثبّت استقلال الدولة الحمادية عن بني زيري.
- أضعف هيبة الدولة الزيرية في نظر القبائل والمناطق الداخلية.
- مهد الطريق لمزيد من التوسع الحمادي في المغرب الأوسط خلال العقود التالية.

ثانيا:الحملة الزيرية الثانية حوالي (408-410هـ)

عاود الزيريون المحاولة مجددًا، ولكنهم اصطدموا بتحالفات حماد القوية مع القبائل الصنهاجية والمساندة المحلية، ما أدى إلى توازن عسكري بين الطرفين. هذه الحروب لم تُحسم بشكل قاطع لأي طرف، لكنها رسّخت الأمر الواقع باستقلال فعلي للحماديين:

1- الاعتراف بالأمر الواقع فرغم رفض الزيريين الرسمي لاستقلال الدولة الحمادية، فإنهم اضطروا للتعامل معها ككيان مستقل.

2- **إضعاف سلطة الزيريين**: تكرار المحاولات الفاشلة أدى إلى تآكل هيبة الدولة الزيرية، وساهم لاحقًا في انهيارها جزئيًا أمام الغزو الهلالي.

3- **تعزيز السلطة الحمادية**: من جهة أخرى، أكسبت الانتصارات الحماديين شرعية محلية، وسمحت لهم بتوسيع نفوذهم غربًا وشرقًا (شنيتي، 1992، الصفحات 145-152).

ثالثا: حملة الناصر بن علناس ومعاركه مع الدولة الزيرية

بعد انفصال الحماديين عن الزيريين سياسيًا وعسكريًا، بدأ النزاع يأخذ طابعًا عدائيًا مباشرًا، خاصة بعد استقرار الزيريين في المهدية بعد ضغط الهلاليين على القيروان. ومع صعود الناصر بن علناس، سعى إلى توسيع نفوذه غربًا وشرقًا، فكان عليه التصدي لنفوذ الزيريين الذين حاولوا استرجاع سيطرتهم على أجزاء من المغرب الأوسط.

رابعا:أهم المعارك التي حدثت بين الزيريين والحماديين

1- **معركة بسكرة**

تعد معركة بسكرة إحدى أبرز المحطات العسكرية في مسار الصراع بين الدولة الزيرية والدولة الحمادية في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. وقعت هذه المعركة في سياق تصاعد الخلاف بين الطرفين بعد إعلان حماد بن بلكين استقلاله عن الزيريين عام 405هـ/1014م، وتأسيسه لدولة الحماديين. وقد كانت مدينة بسكرة، الواقعة في الزاب الشرقي، ذات أهمية استراتيجية واقتصادية بالغة، مما جعلها هدفًا حيويًا لكلا الطرفين (الدوري، 2001، صفحة 207).

في سنة 407هـ/1016م تقريبًا، شن باديس بن المنصور الزيري حملة عسكرية لاستعادة السيطرة على بسكرة ومحيطها، حيث كانت المدينة قد أظهرت ميلاً للتحالف مع حماد نتيجة استيائها من سياسات الزيريين الضريبية والإدارية. واجهت الحملة الزيرية مقاومة شرسة من القوات الحمادية والقبائل الصنهاجية المتحالفة معها. وتمكنت قوات حماد، مستفيدة من تحصينات المدينة والتضاريس الجبلية المحيطة، من صد الهجوم الزيري وإلحاق خسائر معتبرة بجيشه (شنيتي، 1992، الصفحات 135-137)؛ (ابن خلدون(ت:808هـ)، 2009، صفحة 108/ ج6).

مثلت معركة بسكرة تحولاً هامًا في الصراع، حيث أكدت قدرات الدولة الحمادية على الدفاع عن مواقعها الاستراتيجية، وكشفت عن ضعف الدولة الزيرية في بسط سيطرتها على المناطق الداخلية. كما ساهمت هذه المعركة في ترسيخ استقلال الحماديين فعليًا، ودفعت الزيريين نحو التراجع والانكماش على سواحل إفريقية (البكري، 1992، صفحة 190).

2- معارك حدودية متفرقة في منطقة الزاب:

شكّلت منطقة الزاب نقطة تماس استراتيجية بين الدولة الزيرية والدولة الحمادية، نظرًا لموقعها الوسيط بين المهدية، عاصمة الزيريين، وقلعة بني حماد، مقر الحكم الحمادي. وبسبب ثروتها الزراعية ومكانتها الجغرافية، أصبحت الزاب منطقة نزاع دائم منذ بداية الانفصال الحمادي سنة 398هـ/1007م. بعد إعلان حماد بن بلكين استقلاله، سعى الزيريون إلى استعادة السيطرة على الزاب باعتبارها بوابة عبور نحو الشمال الغربي، ومصدرًا حيويًا للموارد. وقد حاول باديس بن المنصور الزيري شن حملة عسكرية سنة 406هـ/1015م لاختراق مناطق الزاب، وفرض الحصار على قلعة بني حماد، لكن التضاريس الجبلية والمقاومة الحمادية أفشلت الحملة

(ابن خلدون(ت:808هـ)، 2009، صفحة 101/ ج6). استمرت المناوشات والاصطدامات في هذه المنطقة لعقود، لا سيما في مدن بسكرة وقسنطينة، حيث دارت معارك متفرقة أبرزها:

- **معركة سبيبة**، التي شكّلت تحولًا مهمًا في مسار الصراع، بعد أن فشلت الدولة الزيرية في تحقيق نصر حاسم، وأدى ذلك إلى ترسيخ الوجود الحمادي في الزاب (الدوري، 2001، صفحة 204).
- **حصار مسيلة**، الذي شكّل أحد محاور التنافس على التحكم بطرق التجارة الداخلية، إذ حاول الزيريون فرض نفوذهم من خلال تحالفات محلية، بينما اعتمد الحماديون على دعم صنهاجي واسع (شنيتي، 1992، الصفحات 115-118).

ساهمت هذه المعارك الحدودية في استنزاف الطرفين، لكنها مالت تدريجيًا لصالح الحماديين، نتيجة تحصنهم في مواقع جبلية، وتفوقهم في التحالفات القبلية في الزاب، مما جعل هذه المنطقة تحت سيطرتهم الفعلية بحلول منتصف القرن الخامس الهجري

نتائج هذه الصراعات

- ضعف الدولة الزيرية تدريجيًا بسبب الضغط العسكري والسياسي من الحماديين ومن القبائل العربية.
- تمكن الناصر بن علناس من ترسيخ سيطرة الحماديين، خاصة على مناطق مثل قسنطينة، سطيف، بجاية.
- ساهمت هذه المعارك في نقل العاصمة الحمادية إلى بجاية لاحقًا، والتي أصبحت قاعدة بحرية وتجارية قوية

كانت حروب الناصر بن علناس ضد الزيريين جزءًا من صراع أوسع على السيادة في المغرب الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري، وأسهمت في إعادة رسم الخريطة السياسية للمنطقة، مؤدية إلى صعود الحماديين وتراجع الزيريين، بدأ الناصر بحملات تحرش عسكرية على المناطق الزيرية، خصوصًا في الأطراف الشرقية مثل الزاب وقسنطينة. كان هدف هذه الحملات إضعاف قبضة الزيريين وكسب ولاء القبائل المحلية، مما أدى إلى إرباك الجبهة الشرقية للزيريين (ابن خلدون(ت:808هـ)، 2009، صفحة 57/ ج4).

سعى الناصر إلى اختراق عمق إفريقية نفسها عبر حملات عسكرية متفرقة، إلا أن هذه الحملات اصطدمت بمقاومة شديدة من الزيريين وبعض القبائل العربية الهلالية، مما حد من طموحاته التوسعية شرقًا (المرزوقي، 1990، صفحة 223).

وكانت من نتائج الحروب

- انحسار النفوذ الزيري عن المغرب الأوسط تقريبًا بشكل كامل.
- تعزيز الدولة الحمادية كقوة سياسية وعسكرية مهيمنة.
- اضطراب إفريقية نتيجة تفكك السلطة الزيرية واستمرار غزو القبائل العربية.
- توطيد تحالفات قبلية لصالح الحماديين في الزاب وقسنطينة (المقريزي، 2000، الصفحات 150-153/ ج2).

الخاتمة:

في ختام هذا البحث حول العلاقات السياسية بين الزيريين والحماديين، يتضح أن الانقسام بين الدولتين لم يكن مجرد صراع على السلطة، بل عبّر عن تحولات عميقة في بنية الدولة الصنهاجية والعلاقات بين المركز والأطراف في المغرب الإسلامي الوسيط. فقد جسدت الدولة الحمادية طموحًا إقليميًا للاستقلال السياسي والإداري في ظل ضعف السلطة الزيرية وتراجع هيمنتها، بينما سعى الزيريون جاهدين للحفاظ على وحدة الدولة الصنهاجية تحت مظلتهم، دون جدوى. وقد أظهرت طبيعة العلاقات بين الكيانين مدى تعقيد المشهد السياسي في تلك المرحلة، حيث تداخلت فيه عناصر الولاء العائلي والانتماء القبلي مع الطموحات السياسية والتنافس الديني، خاصة بعد التحول المذهبي للزيريين إلى

السنة مقابل استمرار الحماديين في ولائهم للفاطميين لفترة أطول. كما أن الصراعات بين الطرفين، وإن كانت عسكرية وسياسية في جوهرها، إلا أنها أثرت بعمق على البنية الاجتماعية والاقتصادية للمغرب الأوسط، ومهدت الطريق لاحقًا لصعود قوى جديدة كالموحدين.

إن دراسة هذه العلاقات تبرز أهمية فهم الديناميات الداخلية في بناء الدول الإسلامية بالمغرب الوسيط، كما تكشف عن دور التنافس الإقليمي في تفتيت الكيانات الكبرى وتشكيل الخريطة السياسية لما بعد القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.

المصادر

ابراهيم شبارو. (1990). *الدولة الفاطمية في مصر*. القاهرة، مصر: مكتبة النهضة المصريه.

ابو الحسن عزالدين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبدعبدالواحد الجزري الشيباني (ت:630هـ) ابن الاثير. (1997). *الكامل في التاريخ،ت:عمر عبدالسلام تدمري* (المجلد الاولى). لبنان، بيروت: دار الكتاب العربي.

ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي التونسي القاهري المالكي ابن خلدون(ت:808هـ). (2009). *العبر وديوان المبتدأ والخبرة في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر* (المجلد الثانية). (خليل شحادة، المحرر) بيروت، لبنان: بيت الافكار الدولية.

ابو عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عذاري المراكشي (ت:712هـ) ابن عذاري. (1983). *البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب* (المجلد الاولى). (بشار عواد معروف، المحرر) بيروت، بيروت: دار الغرب الاسلامي.

ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن محمد بن ايوب بن عمرو البكري الاندلسي (ت:487هـ) البكري. (1992). *المسالك والممالك* (المجلد الاولى). (جمال طلبة، المحرر) بيروت ، لبنان: دار الكتب العلمية.

الحبيب شنيتي. (1992). *الدولة الحمادية،دراسة في التاريخ السياسي والحضاري*. تونس: دار الغرب الاسلامي.

الطاهر محمد. (2005). *المدن الاسلامية في المغرب الاوسط*. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

ايمن فؤاد السيد. (2009). *الدولة الفاطميك في مصر: تفسير جديد*. القاهرة، مصر: الدار المصرية اللبنانية.

بلحاج ناصر. (د.ت). *تاريخ المغرب*.

تقي الدين احمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد المقريزي(ت:845هـ) المقريزي. (2000). *اتعاظ الحنفا في اخبار الائمة الفاطميين الخلفا* (المجلد الثانية). (جمال الدين الشيال، المحرر) القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

حسن شلش. (1969). *الدولة الفاطمية: تاريخها السياسي والاداري* (المجلد الاولى). القاهرة، مصر: مكتبة النهضه المصرية.

سعد الله (ت:2013هـ) ابو القاسم. (2001). *تاريخ الجزائر الثقافي* (المجلد الاولى). الجزائر: دار الشروق.

عبد الرحمن ادريس. (1962). *البربرية الشرقية تحت حكم الزيريين*. القاهرة: معهد الدراسات الاسلامية.

عبد العزيز الدوري. (1990). *تاريخ المغرب الاسلامي*. بيروت، لبنان: دار الوراق.

عبد العزيز الدوري. (2001). ،*تاريخ المغرب في العصر الاسلامي الوسيط*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

عبد الله الزيدي. (2007). *الدولة الزيرية:النشأة والتطور*. بيروت: دار الغرب الاسلامي.
عبدالرحمن هلال. (1991). *تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر*. القاهرة، مصر: دار المعارف.
محمد ابو زيد. (2009). *الجزائر في العهد الاسلامي من الفتح الى سقوط دولة الدولة الحمادية*. الجزائر: دار المعرفة.
محمد الطاهر. (1998). *تاريخ المغرب الاوسط: دراسة في التاريخ السياسي والحضاري*. الجزائر: دار الهدى.
محمد المرزوقي. (1990). *منازل الهلاليين في الشمال الافريقي*. تونس: الدار التونسيه للنشر.
محمد باعج. (2013). *الموحدون: تاريخهم السياسي والحضاري*. الجزائر: منشورات دحلب.
ناصر بلحاج. (2001). *تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط*. بيروت: دار الكتب العلمية.
نبيلة سعادة. (1993). *تاريخ المغرب الاسلامي*. بيروت: دار النهضه العربية.

Sources

Ibrahim Shabaro. (1990). The Fatimid State in Egypt. Cairo, Egypt: Egyptian Renaissance Library.
Abu al-Hasan Izz al-Din Ali ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim ibn Abd al-Wahid al-Jazari al-Shaybani (d. 630 AH) Ibn al-Athir. (1997). Al-Kamil fi al-Tarikh, trans. Omar Abd al-Salam Tadmuri (Volume 1). Lebanon, Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi.
Abu Zayd Wali al-Din Abd al-Rahman ibn Muhammad al-Ishbili al-Tunisi al-Qahiri al-Maliki Ibn Khaldun (d. 808 AH) (2009). Al-Ibar wa Diwan al-Mubtada wa al-Khebra fi Ayyam al-Arab wa al-Ajam wa al-Barbar wa Man ‘Asarahum min Dhat al-Sultan al-Akbar (Volume 2). (Khalil Shahada, editor). Beirut, Lebanon: International Ideas House.
Abu Abdullah ibn Muhammad ibn Abdullah ibn ‘Athari al-Marrakushi (d. 712 AH) Ibn ‘Athari. (1983). Al-Bayan al-Maghrib fi Akhbar al-Andalus wa al-Maghrib (Volume 1). (Bashar Awad Marouf, editor) Beirut, Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.
Abu Ubaid Abdullah bin Abdul Aziz bin Muhammad bin Ayyub bin Amr Al-Bakri Al-Andalusi (d. 487 AH) Al-Bakri. (1992). Al-Masalik wal-Mamalik (Volume 1). (Jamal Talaba, editor) Beirut, Lebanon: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.
Al-Habib Shaniti. (1992). The Hammadid State, a Study in Political and Civilizational History. Tunis: Dar Al-Gharb Al-Islami.
Al-Taher Muhammad. (2005). Islamic Cities in the Central Maghreb. Algeria: Dar Al-Huda for Printing, Publishing, and Distribution.
Ayman Fouad Al-Sayyid. (2009). The Fatimid State in Egypt: A New Interpretation. Cairo, Egypt: Dar Al-Masryia Al-Lubnania.
Belhaj Nasser. (n.d.). History of Morocco.

Taqi Al-Din Ahmad bin Ali bin Abdul Qadir bin Muhammad Al-Maqrizi (d. 845 AH) Al-Maqrizi. (2000). It'aaz al-Hanafi fi Akhbar al-A'immah al-Fatimid al-Khalifa (Volume Two). (Jamal al-Din al-Shiyal, editor). Cairo, Egypt: Egyptian General Book Authority.
Hassan Shalash (1969). The Fatimid State: Its Political and Administrative History (Volume One). Cairo, Egypt: Egyptian Renaissance Library.
Saad Allah (d. 2013 AH) Abu al-Qasim (2001). The Cultural History of Algeria (Volume One). Algiers: Dar al-Shorouk.
Abdul Rahman Idris (1962). Eastern Berberism under the Zirids. Cairo: Institute of Islamic Studies.
Abdul Aziz al-Duri (1990). History of the Islamic Maghreb. Beirut, Lebanon: Dar al-Warraq.
Abdul Aziz al-Duri (2001). History of Morocco in the Medieval Islamic Era. Beirut: Center for Arab Unity Studies.
Abdullah al-Zaidi (2007). The Zirid State: Origins and Development. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.
Abdul Rahman Hilal (1991). History of the Fatimid State in Morocco and Egypt. Cairo, Egypt: Dar Al-Maaref.
Muhammad Abu Zayd (2009). Algeria during the Islamic Era, from the Conquest to the Fall of the Hammadid State. Algeria: Dar Al-Maaref.
Muhammad Al-Tahir (1998). History of the Central Maghreb: A Study in Political and Civilizational History. Algeria: Dar Al-Huda.
Muhammad Al-Marzouki (1990). The Mansions of the Hilaliyyin in North Africa. Tunis: Tunisian House of Publishing.
Muhammad Baaj (2013). The Almohads: Their Political and Civilizational History. Algeria: Dahlab Publications.
Nasser Belhaj (2001). History of the Islamic Maghreb in the Middle Ages. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Nabila Saada (1993). History of the Islamic Maghreb. Beirut: Dar Al-Nahda Al-Arabiyyah.

Political Relations between the Zirid and Hammadid States

College of Arts/ Al-Mustansiriya University
Sulhnar9@uomustansiriyah.edu.iq
07731395544

Summary
characterized by fluctuation between alliance and conflict. Initially, the Hammadid dynasty emerged as a branch of the Zirid rule, as Bologhin ibn Ziri entrusted Hammad ibn Bologhin with governing the central Maghreb, strengthening the Zirid family's authority. However, Hammad's ambitions for independence soon strained their relations, especially after the Zirid decline in Ifriqiya following the Hilalian invasion. In 1007 CE (398 AH), Hammad declared independence from the Zirids, founding the Hammadid state and pledging allegiance to the Fatimid caliph, which was a direct challenge to Zirid authority. Al-Mu'izz ibn Badis, the Zirid ruler, launched military campaigns to suppress the Hammadids, but failed due to the strong fortifications of the Hammadid capital and their strategic advantage.

The political and military conflict between the two states continued for decades, fueled by external interventions from the Fatimids and Abbasids, and shaped by the rivalry for regional dominance and religious influence. Despite intermittent attempts at reconciliation, relations between the Zirids and Hammadids remained tense, contributing to the weakening of Islamic authority in the central Maghreb in favor of local forces and migrating Arab tribes.

Keywords: Zirid dynasty, Hammadid dynasty, An-Nasir ibn Alannas, Bulukin ibn Ziri.